اسم الدرس : سورة سبأ | ج٥ | الآيات [٣٤ : ٣٩]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ}[سبأ ٣٤-٤٠]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمدٍ ﷺ.

مراجعة سريعة لما في المجلس السابق:

بإذن الله ﷻ نستكمل تفسير سورة سبأ؛ كنا توقفنا عند آية ٣٤، قول الله -عزَّ وجل-: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٤-٣٥]

بعد شوط ذُكِرَ في الدار الآخرة، يُبيّن ما يحدث من جدال وتنازع وتلاعن بين المستكبرين والمستضعَفين، وقلنا لماذا جاء في سورة سبأ "الذين استكبروا والذين استضعفوا" وفي سورة البقرة "الذين اتّبعوا والذين اتُّبعوا"، وكل سياق جاء بلفظ معين.

كنا قد انتهينا في مشهد يوم القيام، لكن يعود الخطاب الدنيوي مرة أخري ليرسخ معني عقائدي هام جدا.

بعد هذا التلاعن الذي صدر منهم في الدار الآخرة، رجع للدنيا ثانيةً؛ ليبين أن من يقود المعركة هم المستكبرون وكان الضعفاء تبعًا لهم، لذلك سنجد هنا في الآيات ربنا ﷻ يقول: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ}[سبأ ٣٤] من الذي رد؟ **المُترَفون**، إذًا المستضعفين ماذا قالوا؟ أين ردّهم؟ الإمام البقاعي يقول: "كانوا تبعًا لهم"، المترف يقول {إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ}[سبأ ٣٤]، فيقول المستضعف {إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ} كانوا تبعًا لهم ليس لهم رأي، كانوا تابعين.

من هم الأعداء الأصليين للأنبياء ؟

هنا ربنا -سبحانه وتعالى- يبين لنا أن العدو الأصيل لدعوات الأنبياء -وهذه سُنة- هم المترفون، {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا}[سبأ ٣٤] {وما..إلا} الاستثناء والحصر يبين أن **هذه سُنة ثابتة، أن العدو الأصيل هم المترفون**، رجال الاقتصاد الذين لهم مراكز يخافون من أي تغيير يحدث، أي تجديد، أي ثورة، أي دين، أي شيء يحدث هم خائفون على مصالحهم الاقتصادية، لذلك هم يرفضون أي تغيير، خائف على مصالحه، مصالحه مرتبة هذا الوضع القائم، له معارف، له اتصالات، فأي تغيير يحدث بأن يكون هناك دين جديد يساوي بين الناس في الحقوق وهناك صلاة وزكاة يرفضه، يخاف على مصالحه الاقتصادية.

فالعدو الأصيل دائمًا وأبدًا لأي تغيير: **هُم رجال الاقتصاد**؛ فهم دائمًا الذين ينفقون على إبطال أي تجديد، دائمًا رجال الاقتصاد هم الذين يملكون أموال ، هم الذين ينفقون -سواء إعلاميًا أو على الأرض-، لمنع أي تغيير يحدث؛ لأنهم خائفون على مراكزهم.

مثلما كان كثير من **أشراف قريش** ينفقون أموالهم ويرسلون أناسًا يعطونهم أموالًا ليقف كل واحد على مدخل مكة، قيل: اثنا عشر مدخلًا من مداخل مكة، كل أحد يوقفه يعطيه مالًا لكي يقف، وأي أحد يأتي ليدخل مكة يقول له: إلى أين أنت ذاهب؟ ويقول كلام كذب على النبي -صلى الله عليه وسلم-، يقول له أنه ساحر أو شاعر أو مجنون.

كانوا يشترون الجواري ويعلّمونهم شعر هجاء للنبي ﷺ ، والله ﷻ رفع قدر النبي ﷺ ، قال الله ﷻ {وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ}[الشرح ٤]، يعلمون الجواري أغاني سب للنبي ﷺ ، يذهبون إلى سوق الجواري، تُباع تلك الجواري في كل جزيرة العرب، ففي أي تجمع تغني لهم وترقص لهم وتذكر هذه الأغنية وهذا الشعر الذي فيه سب للنبي ﷺ.

مجهود يُبذل إعلامياً -لأنه بالطبع لم يكن هناك فضائيات-؛ لنشر الإيذاء للنبي ﷺ، والصد عن الدعوة، **هذا كله يحتاج إنفاق**، من الذي سيشتري الجواري؟ من الذي سينفق، من الذي سيعطي للناس أموال لتقف.

أبو جهل عندما قيل له: ليس معي مالًا لأحارب في بدر قال له: اذهب وأنا أنفق على عيالك، {فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً}[الأنفال ٣٦]، هناك أموال تُنفق للصد عن سبيل الله، ملايين تُنفَق للصد عن سبيل الله.

فيقول الله ﷻ؛ حتى نعلم هذه **السُنة**، من هو العدو الأصيل؟ المترفون

دلائل الحروف في الخطاب القرآني دقيقة جدا:

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ}[سبأ ٣٤]. كلمة "في قرية" تعني أن الرسول يجب أن يتغلغل بين الناس، ولم يقل "وما أرسلنا إلى قرية" ،عندما أرسلك إلى شخص "إلى البيت" غير "في البيت"، عندما تذهب إلى البيت معناه أنك وقفت على الباب لم تدخل، أما عندما تذهب في البيت يعني أنت دخلت.

القرآن يعلمنا كيف يكون أسلوب الداعي ؟ يتغلغل بين الناس.

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ} الرسول يتغلغل بين الناس، {يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ}[الفرقان ٧]، يجب أن تصل الدعوة إلى كل الناس؛ لأن العدو ينفق أموالًا لمنع كل الناس عن الدعوة، فنحن يجب أن نصل إلى كل الناس، كما أن المال يُنفق، وتكلمنا المرة السابقة كيف كان مكر الليل والنهار لصرف كل الأعمار، كل طبقات المجتمع، ليس –مثلاً– أنه يصرف الأغنياء والفقراء لا، لا هو يحاول حتى يصرف الفقراء ويصرف الأطفال والكبار والشباب والفتيات.

كيف يكون أسلوب الدعوة في وقت الترف؟

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ}[سبأ ٣٤] إذًا **الأصل في الدعوة النذارة أي التخويف**، **{إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ}[سبأ ٤٦] عندما ينتشر المنكر في المجتمع يحتاج إلى التخويف أكثر، يحتاج إلى النذارة، وخاصةً عندما يكون مجتمعًا مترفًا، كما في هذا الموضع {قَالَ مُتۡرَفُوهَآ}[سبأ ٣٤].

لماذا يتصدر المترفون الخطاب ؟

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ}[سبأ ٣٤] إذًا هذه سنة ثابتة، من الذي رد؟ المترفون؛ لأنهم يملكون أدوات الوصول للناس، لديهم الأدوات، معهم السلطة هم الذين يتكلمون.

لماذا ذكر الله كلمة **مترف** في هذا الموضع؟

{إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا}[سبأ ٣٤] سنجد أن القرآن استعمل لفظ: ((**مترف**))، وليس ((غني)). ما معنى مُترَف؟

أولًا: ((مُترَف)) جاء اسم مفعول، هناك من أترَفه.

أُعيد:((مُترَف)) هذا نسميه في اللغة: اسم مفعول، هو ليس مُترِف، بل هناك من أترَفه، أصبح مُترَف، مثل كلمة ((مُنعَم)) هناك من أعطى له نعمة، فكلمة مُترَف أي: أترَفه.

اختلف العلماء **من الذي أترفه؟**

*بعض العلماء –مثل ابن عاشور– قال أن الذي أترفه هو الله ﷻ، الله ﷻ أعطاه النعمة فلم يشكرها، فكلمة مُترَف هي كلمة تُذكّر بالله؛ أنَّ الذي أعطاك النعمة هو الله، أنت لم تأتِ بهذه النعمة من عندك، أنت لم تخلقها، الله ﷻ أعطاك النعمة.

*وقيل ((مُترَف)) أي أصبح طاغية أطغته النعمة، كلمة مُترَف معناها: طاغي، كلمة التُرفة –وليست الطرفة، الطرفة بالطاء تعني النكتة–، ((الترفة)) من الترف بالتاء، قيل: هذا هو المكان المنتبر العالي في الشفة العُليا –وإن كان بعض اللُغويين اعترض على هذا المعنى مثل ابن فارس؛ لكن كثير من اللغويين في كتبهم نقل هذا المعنى–، وقال أن أصل الترفة: أن شخصًا يكون أعلى من باقي الناس، فكلمة مترَف تعني أن شخص يمتلئ –وهذا جزء يكون منتفخ في الشفة–، شخص ينتفخ بالمال، فيشعر بعلو على الناس، هذا أصل كلمة المترَف، إحساس بالعلو على الناس بما معه من مال.

إذًا المترَف ليست قضية شخص غني، **بل شخص طغى بما معه من مال**، يشعر أنه أعلى من الناس هذا معنى {الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا}[سبأ ٣٢] أي استكبر بالمال، لذلك قالوا {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥] معنا أكثر منكم. إذًا كلمة المترَف فيها طغيان وتجبر وتعالي وتكبر بما معهم من نعمة.

{إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا}[سبأ ٣٤] الهاء عائدة على القرية، إذًا كل قرية لها مُترَفيها.

مصطلح القرية في القرآن ليس المقصود به القرية التي بجوار المدينة عندنا، **قرية تعني تجمع سكني، كل قرية فيها أشخاص يسيطرون عليها.**

الأستاذ عبدالكريم بكار يقول: "في كل لحظة يولَد مُغَفَّل -لا يفهم في التجارة- يولَد اثنان للمتاجرة به"، هناك شخص معه أموال ويريد أن يشتري شيئًا ولا يفهم في الأسعار، وهناك اثنان يظهران يخدعانه، مثلًا عندما تذهب للشراء وأنت لا تفهم في الأسعار، يجيء اثنان ويقولان لك: سنشتري لك أشياءً أفضل بسعر أقل، تُفاجأ عندما تنصرف أن ما اشتريته يُرمى؛ المهم أن في كل قرية أناس يسيطرون عليها، يستطيعون الوصول للمراكز.

فأنا أقصد كلمة: **مُترَفُوهَآ**. {وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَا}[الأنعام ١٢٣]، كل قرية فيها أكابر المجرمين ويركزون دائمًا -مثلما قلنا قبل ذلك في شرح سورة الأنعام- على المدن؛ على العاصمة، هم يسيطرون على الأماكن المهمة، فلا يشغل باله بالأماكن الصغيرة، يترك الصغار يلعبون في أماكن معينة.

أكابر المجرمين يسيطرون على المفاصل الرئيسية، يسيطرون على سوق ذهب، يسيطرون على سوق الحديد، يسيطرون على الأشياء الرئيسية التي لا غنى لأي مجتمع عنها.

بعد مواجهتهم سيبدأون في الهجوم بالتأكيد:

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ}[سبأ ٣٤] كلمة **قال** هنا تعني أنه بدأ يكون هناك مواجهة. نحن قلنا أن سورة سبأ من أكثر السور التي فيها كلمة ((قل))، فأكثر سورة في القرآن فيها كلمة ((قل)) هي الأنعام، أظن تليها سورة سبأ، كلمة((قل)) تعني أن هناك حملة إعلامية شرسة ضدك وأنت ترد، وهم معهم عدة وعتاد وأنت ليس معك هذا.

فهم عندما قلت -في الصفحة التي تم شرحها المرة السابقة {قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُمۡ}[سبأ ٢٤]، {قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا}[سبأ ٢٥]، {قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا}[سبأ ٢٦]، {قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم}[سبأ ٢٧]، **أربعة "قل"**.

فبدأ هو يرد عليك؛ قال لك {إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ}[سبأ ٣٤].

((ما)) هذه نكرة تفيد الاستغراق؛ أي كل ما أتيتم به لا نوافق عليه، {إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ}[سبأ ٣٤] كان من الممكن أن يقول "إنا بما أرسلتم كافرون". ولكن قال: {إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ} أي: ما أتيتم به وتحركتم به في المجتمع نحن نرفضه تمامًا.

الباء في ((به)) هي باء المصاحبة وتعني أن الرسل كانوا يصحبون الوحي في كل مكان يذهبون فيه، بمعنى أنهم كانوا يتكلمون بالوحي في السوق، مثلما يروى في بعض الآثار أن النبي ﷺ لما نزلت سورة المطففين نزل السوق وقرأها، سورة المطففين لمن نزلت؟ المقطع الأول لمن نزل؟ للتجار، إذًا لماذا أقولها لغير التجار؟ فنزل ﷺ السوق وقرأها عليهم.

لذلك {أُرْسِلْتُم بِهِۦ} تعني: كانوا يصحبون رسالاتهم في كل مكان، وقلنا {فِى قَرْيَةٍ} تعطي معنى التغلغل في المجتمع، {إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ} كله. لماذا ؟ماهي الأسباب؟ لايوجد، هو كذلك وفقط.

مثلما قال المستكبرون في سورة الأعراف من قوم صالح للمستضعفين: {إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ}[الأعراف ٧٦] ليس بالرسل فقط، لا، بل أي شيء أنتم تؤمنون به، نحن كفار به.

إذًا، بما أن هناك حملة إعلامية شرسة، لا يكتفي أن يقول: أنا كافر فقط، بل يجب أن يرد ويقول شبهة.

هو لا ينكر فقط هو خائف أيضا علي مكانته فيطعن في رسالتك ويلقي بالشبهات في نفوس الناس.

ماذا قال المترفون؟ قالوا شبهة تخدع الناس؛ لأن المترفين رئاستهم ومركزهم قائم أساسًا على وجود مستضعفون؛ فلو تركهم المستضعفون ورحلوا لن يكون لهم موقع؛ فرعون إذا تركه جنوده، لن يكون له مكانة؛ لذلك جاء في الآية: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ}[القصص ٨] لو الجنود تركوا فرعون سيبقى شخص واحد.

وهذا **ضعف البشر؛ أن قوته دائمًا خارجية ليست داخلية، ليست من نفسه؛**

لذلك الملك ﷻ تأتي لحظة يُميت فيها الخلائق كلها ويقول: {لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ}[غافر ١٦] لا يحتاج إلى أحد ﷻ، لا الملائكة ولا حملة العرش ولا كل الخلق ويقول: {لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ}[غافر ١٦] لكن البشر يحتاجون إلى المساعدة، إلى المعونة.

فالمترف خائف على ما معه فيعطي شبهات لكي يثبّت من معه؛ لأنه بدأ يهتز بالكلام، الآيات السابقة تهز أي مُستضعَف، الآيات التي تتكلم عن المستكبرين، حوار المستكبرين والمستضعفين، وأن المستكبرين سيأتون يوم القيامة يقولون للمستضعفين: ليس لنا علاقة بكم {أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ}[سبأ ٣٢]، تخيل مستضعف يسمع هذه الآيات فينظر للمستكبر ويقول له أهذا الكلام حق، حين يأتي يوم القيامة ستتركني وتقول: {أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ}؟ فالمستكبر

ما الشبهه التي استخدمها هنا ؟ ولماذا ؟

هنا يقول شبهة يُثبِّت بها من معه أنه هو على الحق -أي المترف- فماذا قال؟ قال شبهة {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥]

سياق سورة سبأ دليل علي شدة الضعف المادي للمسلمين لذلك كان تأثير المستكبرين من هذا الجانب.

وقلنا أن هذه من الآيات المهمة في السورة التي تعرفك جو السورة ومدى الاستضعاف المادي الذي كان فيه المسلمين في تلك اللحظة {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥] وبالتالي ماذا تعني أنهم أكثر أموالًا وأولادًا؟

هو وَضَع قاعدة موجودة واقعيًا ليست كذبًا؛ أنهم أكثر أموالًا وأولادًا فعلًا، **فاستعمل جزءًا من الحقيقة وبنى عليه جزءًا كبيرًا من الباطل**؛ قال: فبالتالي بما أننا أكثر أموالًا وأولادًا، -وتلك حقيقة واقعية أنتم تروها أيها المستضعفون، نحن نملك أموالًا أكثر منهم- إذًا ربنا يحبنا أكثر منهم، إذًا نحن على صواب.

وهذه عقيدة خطيرة جدًا بالرغم من تفاهتها؛ لكنها أثرت على ملايين من البشر، بل هي شبهة العصر الآن، مثلما يُروي عن النبي ﷺ: (ألا إن فتنة أمتي في المال)[1].

هذه شبهة العصر: كيف يكون الغرب الكافر متقدمًا والمسلمون الذين على الحق مستضعفين؟ إذًا بالتأكيد الغرب ليسوا على خطأ، **ما علاقة أن معه مال بأنه مصيب أو مخطئ في العقيدة؟ هذا التلازم خطأ.**

رد القرآن علي هذه الشبهه -شبهه أن من معه مال أكثر يكون علي حق-.

وطبعًا هذه عقيدة نفاها القرآن لأهميتها في أكثر من موضع، {فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ}[الفجر ١٥-١٦] الآيه التي تليها ماذا تقول؟ {كَلَّا}[الفجر ١٧] أي هذا المفهوم خطأ، وعندما جاء ليقول عن نفسه قال: ربي أكرمن، لم يقل ربي ابتلاني، هو أخذ الجزء الثاني؛ نعم ربنا أكرمك ولكن ابتلاءً، وليس تشريفًا ربنا

[1] [عن كعب بن عياض:] إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فِتنةً، وفتنةُ أمَّتي المالُ
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٥٩٢ • إسناده صحيح على شرط مسلم

أعطاك المال ابتلاءً. لو قال: الله ابتلاني، فأكرمني، فسأشكر، كان كلامه صحيحًا، لكنه قال {رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ}[الفجر ١٥] يعني أنا هكذا مصيب.

لذلك هذه شبهة مهمة، وجاء الرد عليها كثيرًا في القرآن؛ آيات تتلى في سورة فصلت على قوم عاد من أول السورة آيات تهد الجبال؛ ويأتي قوم عاد عندما يسمعون الآيات، ورسل تأيتهم من بين أيديهم ومن خلفهم يقولون: {مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}[فصلت ١٥]، وما علاقة الآيات التي أقولها لك بأن معك دبابة أو طائرة!

أيضًا جاء في سورة مريم {وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ} المسلمون ذهبوا للكفار وقرأوا عليهم الوحي واضحًا، فيرد الكافر ويقول {قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا}[مريم ٧٣] أي من الذي يملك أموالًا كثيرة؟ تقرأ عليه القرآن فيرد قائلًا من الذي معه المال الكثير، فترد تقول لهم أموالكم لن تفعل لكم شيئًا {وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا}[مريم ٧٤] أي انتبه كان هناك ناس معها مال أكثر منك والله أهلكها {فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ}[القصص ٨١].

وهكذا {وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٥] ربط العاقبة في الدار الآخرة بالمال؛ هذه نقطة تسري في المجتمع دون أن نشعر.

هل الربط بين البلاء والذنب كان من نهج الأنبياء ؟

لذلك حتى في بعض من صاحب الأنبياء، سيدنا أيوب عليه السلام مكث في بلائه ثمانية عشر عامًا، ١٨ سنة في البلاء، تخيل! وكان له صديقان ملازمان، (لفَظَه كلُّ الناس ماعدا اثنين يغدوان معه ويروحان معه؛ فجاء في لحظة واحد منهم يقول للآخر: والله ما أظن إلا أن أيوب أذنب ذنبًا لم يذنبه أحد من العالمين)[٢]. **ربط ما بين البلاء والذنب، ما العلاقة!** فَذهب الآخر لسيدنا أيوب وقال له: صاحبك

[٢] [عن أنس بن مالك:] إنَّ نبيَّ اللهِ أيُّوبَ لبث به بلاؤُه ثماني عشرةَ سنةً، فرفضه القريبُ والبعيدُ، إلّا رَجلَيْن من إخوانِه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدُهما لصاحبِه ذاتَ يومٍ: تعلمُ واللهِ لقد أذنب أيُّوبُ ذنبًا ما أذنبه أحدٌ من العالمين، فقال له صاحبُه: وما ذاك ؟ قال: منذ ثماني عشرةَ سنةً لم يرحَمْه اللهُ فيكشِفَ ما به، فلمّا راحا إلى أيُّوبَ لم يصبِرِ الرَّجلُ حتّى ذكر ذلك له، فقال أيُّوبُ: لا أدري ما تقولان غير أنَّ اللهَ تعالى يعلمُ أنّي كنتُ أمُرُّ بالرَّجلَيْن يتنازعان، فيذكران اللهَ فأرجِعُ إلى بيتي فأُكفِّرُ عنهما كراهيةَ أن يُذكَرَ اللهُ إلّا في حقٍّ، قال: وكان يخرُجُ إلى حاجتِه فإذا قضى حاجتَه أمسكته امرأتُه بيدِه حتّى يبلُغَ، فلمّا كان ذاتَ يومٍ أبطأ عليها وأُوحي إلى أيُّوبَ أن ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ فاستبطأته، فتلقَّته تنظُرُ وقد أقبل عليها قد أذهب اللهُ ما به من البلاءِ وهو أحسنُ ما كان، فلمّا رأته قالت: أيْ بارك اللهُ فيك، هل رأيتَ نبيَّ اللهِ هذا المُبتلى، واللهِ على ذلك ما رأيتُ أشبهَ منك إذ كان صحيحًا، فقال: فإنّي أنا هو: وكان له أندَران أي (بيدران): أندَرُ للقمحِ وأندَرُ للشَّعيرِ، فبعث اللهُ سحابتَيْن، فلمّا كانت إحداهما على أندرِ القمحِ أفرغت فيه الذَّهبَ حتّى فاض، وأفرغت الأخرى في أندرِ الشَّعيرِ الورِقَ حتّى فاض

يقول كذا وكذا، قال: والله ما أدري ما ذاك، ولكني كنت أمر على الرجلين أسمعهما يقسمان بالله فأكفّر عنهما مخافةً أن يذكر اسم الله على باطل. انظر كم كان قد بلغ من تعظيم الله!

الشاهد أن هذا التفكير يتغلغل للإنسان من دون أن يشعر، **التفكير المادي يصل إلى التقييم؛ التقييم المادي للعقائد.**

بالرغم من تفاهة شبهة أن صاحب المال يكون علي الحق، كيف يقتنع بها الناس ؟

أريد أن أذكر لكم كيف يتم ذلك:

أولًا: هذه فطرة في الإنسان، حب المال فطرة في الإنسان، فالإنسان فُطر على حب المال، الطفل منذ صغره يقول: أبي أبي، أنا أريد هذه، فتضع يدك في جيبك وتخرج له المال وتشتري له ما يريده، ينشأ على أن المال يجلب ويحقق المقاصد، يأتي في مرة يريد شيئًا وأنت لا تملك مال فلا تجلبه له؛ يبدأ ينشأ الإنسان على أن المال هو الذي يحقق السعادة، يكبر ويصبح هذا الموضوع عقيدةً عنده ويزيد.

يقول النبي ﷺ: (لو أن لابن آدم واديًا من ذهب لابتغى له ثانيًا)[٣] وإذا كان معه واديان لابتغى الثالث، فيصل لدرجة أنه يُقيّم أي فكرة تُطرح عليه على حسب المال، تخبره بشيء، فيسألك: هل هذا يُكسب النقود؟ إن كان نعم، فهي جيدة، وإلا تكُن خاطئة.

لذا يقول الله ﷻ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ}[الحج ١١]، ويقول ابن عباس: هذه الآية نزلت في الأعراب، فيقول: سنجرب هذا الدين، سنجرب هذه الشريعة، إن أتت بمالٍ تكون صحيحةً، وإن لم تأتِ بمال تكون عقيدة خاطئة.

وهذا هو التقييم المادي لأي عقيدة، تخبره مثلًا بأن الربا حرام، فيقول: لا، ما دام يكسب مال فهو ليس حرامًا، هذا هو تقييمه للأشياء؛ فأصبح هناك تقييم مادي للعقائد وهذا خطر، والموضوع يتطور لدرجة أنه يكون هناك ولاء وبراء على العقيدة، فهذه هي عقيدة المال، أنه يحب من معه أموال أكثر ويبغض الفقراء.

الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ١٧ • صحيح

[٣] [عن بريدة بن الحصيب الأسلمي:] لَوْ أَنَّ لابنِ آدمَ وادِيًا من ذَهَبٍ لابْتَغى إليهِ ثانيًا، ولَوْ أُعْطى ثانيًا لابْتَغى إليهِ ثالِثًا، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللهُ على مَنْ تابَ.

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب ١٧١٦ • حسن صحيح

تحولت المسألة من مجرد شبهة إلي عقيدة يتحرك بها المسلم في زمننا هذا للأسف.

فأصبحت عقيدة تنمو وتزداد، أي: تصبح عبودية، (تَعِسَ عبد الدينار)[٤] بل تصبح عقيدة قتالية للمال! النبي ﷺ يقول حديثًا عجيبًا جدًا:(في آخر الزمان يحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب، فيقتتل الناس عليه، فيموت من كل مائة تسعة وتسعون رجلًا)[٥]، كل ما يذهب مائة يموت تسعة وتسعين ويبقى واحدًا، تخيل مائة شخصٍ يذهبون، -فيذهبون ويقول كل واحدٍ منهم لعلي أكون الناجي-. يذهب بنسبة نجاح واحد بالمئة، أي أن احتمال موته تسع وتسعون بالمئة ومع ذلك يذهب لأجل المال! انظر عقيدة المال يمكن أن تصل بالإنسان إلى أين؟! وتأتي تكلم الناس في صلاة الفجر أو الجهاد في سبيل الله أو أي شيء، فيقولون البرد، وتجد الأعذار قد ظهرت.

لذلك هؤلاء المترفون عندما يجيبون فهم يدافعون عن عقيدة، هل ستأتي أنت وتُضيّع المراكز التي حققناها؟ مستحيل نتركك، قتال! سيقاتلونك، سيخرجونك من قريتك، لن يتركوك. هم يفهمون جيدًا معنى لا إله إلا الله، أنت تطعن ليس في أصنامهم، الصنم يلقيه ويأتي بغيره، هو يأتي ببعض الطين ويأتي بالكلب ليتبول عليه ويصنع الصنم، هو ليس لديه مشكلة في الأصنام، لكن أنت تهدم مراكزه.

لذلك يقول الله ﷻ في سورة البقرة: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}[البقرة ٤٥]، يذكر الإمام الطبري هنا معنى جميلًا جدًا، يقول الخطاب هنا {استعينوا بالصبر والصلاة} لرؤساء وأحبار اليهود، يطلب منهم أن يتنازلوا عن رئاستهم وعن مالهم وينزلون تابعين للنبي ﷺ، ويقول الله ﷻ أن هذا أمرٌ عظيم، هذا أمرٌ صعب، لن تستطيعوه إلا بالصبر والصلاة.

لدرجة أن بعض المفسرين فسّر كلمة الصبر بالصوم، أي أنك تتعود أن تترك المباحات، حتى تستطيع أن تترك الحرام.

---

[٤] [عن [أبو هريرة]:] تعِس عبدُ الدينارِ، تعِس عبدُ الدرهمِ، تعس عبدُ الخميصةِ، تعس عبدُ الخميلةِ، تعِس وانتكَس وإذا شِيكَ فلا انتقَش
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٣٥/٢٨ • صحيح • أخرجه البخاري (٢٨٨٧) باختلاف يسير

[٥] [عن أبي هريرة:] لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى يَحْسِرَ الفُراتُ عن جَبَلٍ مِن ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النّاسُ عليه، فيُقْتَلُ مِن كُلِّ مِئَةٍ، تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ، ويقولُ كُلُّ رَجُلٍ منهمْ: لَعَلِّي أكُونُ أنا الذي أنْجُو. وفي روايةٍ: بهذا الإسْنادِ، نَحْوَهُ. وزادَ. فقالَ أبِي: إنْ رَأَيْتَهُ فلا تَقْرَبَنَّهُ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٩٤ • [صحيح]

"وإنها لكبيرة" أمرٌ صعب -كلام الإمام الطبري انتهى عند قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}- {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} اختلفوا في الهاء علام تعود؟ فقالوا: قد تعود على هذا الأمر المطلوب منهم أي ترك الرئاسة وترك الدنيا، الأمر صعب ليس سهلًا!

فالمترف سيقاتل عن هذه العقيدة، عقيدة المادة، عقيدة المركز الذي بناه، لن يتركه، {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أموالًا وأولادًا} وبالتالي {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٥] وللأسف هذه العقيدة أصبحت منتشرة بين بعض المسلمين وهم لا يشعرون؛ أنه يقيم الشيء على حسب المال الذي يأتي به.

يقيم العقائد أو المبادئ أو الأفكار أو الأشخاص على حسب المادة، وغالب أتباع الأنبياء -وهذه سُنة- هم الفقراء، {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ}[هود ٢٧]، {وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ}[الشعراء ١١١]، (هرقل حين سأل أبا سفيان: أيتبعه الأغنياء أم الفقراء؟ قال: الفقراء)[٦].

---

[٦] [عن أبي سفيان بن حرب:] أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِن قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّه نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لهم إِنِّي سَائِلٌ هذا عن هذا الرَّجُلِ، فإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الحَيَاءُ مِن أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عنْه. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ ما سَأَلَنِي عنْه أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هو فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هذا القَوْلَ مِنكُم أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لا قَالَ: فأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ منهمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ ما قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، ونَحْنُ منه في مُدَّةٍ لا نَدْرِي ما هو فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: ولَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شيئًا غَيْرُ هذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الحَرْبُ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا ونَنَالُ منه. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يقولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وحْدَهُ ولَا تُشْرِكُوا به شيئًا، واتْرُكُوا ما يقولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصِّدْقِ والعَفَافِ والصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ له: سَأَلْتُكَ عن نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّه فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في نَسَبِ قَوْمِهَا. وسَأَلْتُكَ هلْ قَالَ أَحَدٌ مِنكُم هذا القَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لو كَانَ أَحَدٌ قَالَ هذا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وسَأَلْتُكَ هلْ كَانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ فلوْ كَانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أبِيهِ، وسَأَلْتُكَ، هلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ ما قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فقَدْ أعْرِفُ أنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ويَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حتَّى يَتِمَّ. وسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وسَأَلْتُكَ هلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ. وسَأَلْتُكَ بما يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أنَّه يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولَا تُشْرِكُوا به شيئًا، ويَنْهَاكُمْ عن عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، ويَأْمُرُكُمْ بالصَّلَاةِ والصِّدْقِ والعَفَافِ، فإنْ كَانَ ما تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وقدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أنَّه خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّه مِنْكُمْ، فلوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، ولو كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي بَعَثَ به دِحْيَةُ إلى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إلى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِن مُحَمَّدٍ عبدِ اللَّهِ ورَسولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فإنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ و{يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ولَا نُشْرِكَ به شيئًا ولَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} قَالَ أبو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ ما قَالَ، وفَرَغَ مِن قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّه يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّه سَيَظْهَرُ حتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامَ. وكَانَ ابنُ النَّاطُورِ، صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وهِرَقْلَ، سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابنُ النَّاطُورِ: وكَانَ هِرَقْلُ

غالب أتباع الأنبياء من الفقراء، وإن كان هناك أغنياء يتبعون الأنبياء، لكن الغالب الفقراء؛ لأن الأمر على الأغنياء يكون صعبًا أن يترك كل هذا، هو ليس مطلوبًا منه أن يترك كل هذا، لكنه سيترك الرئاسة التي هو فيها.

{وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أموالًا وأولادًا}[سبأ ٣٥]، وبالتالي بنى هنا عقيدة خطر غيبية على عقيدة مادية واقعية قال: {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٥]. فالكلام هنا على شقين -انظر الرد- مادام هناك شبهة إذًا يجب أن يكون هناك رد، إلا إذا كانت شبهة تافهة تكررت فيكون الإعراض ردًا أحيانًا في القرآن؛ إمّا لتفاهة الشبهة، وإمّا لأنه يجادل فقط {ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلًا}[الزخرف ٥٨].

كان الرد في سورة مريم عندما قالوا: {أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا}[مريم ٧٣] كان الرد {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا}[مريم ٧٤].

لكن هنا الرد مختلف، في سورة سبأ معهم أموال وأولاد كثيرة، كلمة السعي للصد عن سبيل الله جاءت مرتين في السورة، مرة بصيغة الماضي في البداية {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ}[سبأ ٥]، ومرة هنا بصيغة المضارع {وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}[سبأ ٣٨] يبذلون مجهودًا ضخمًا جدًا من أجل الصد عن سبيل الله.

الجملة التي قالوها تنقسم إلى شقين:

- الشق الأول / الجملة الأولى: نحن معنا أموال أكثر.
- الشق الثاني: هذه الأموال ستنفعنا يوم القيامة.

حَرَّاءَ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لهمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَن يَخْتَتِنُ مِن هذِهِ الأُمَّةِ؟ قالوا: ليسَ يَخْتَتِنُ إلَّا اليَهُودُ، فلا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، واكْتُبْ إلى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَن فيهم مِنَ اليَهُودِ. فَبيْنَمَا هُمْ علَى أمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ برَجُلٍ أرْسَلَ به مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عن خَبَرِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أمُخْتَتِنٌ هو أمْ لَا، فَنَظَرُوا إلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أنَّه مُخْتَتِنٌ، وسَألَهُ عَنِ العَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هذا مُلْكُ هذِهِ الأُمَّةِ قدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إلى صَاحِبٍ له بروميَةَ، وكانَ نَظِيرَهُ في العِلْمِ، وسَارَ هِرَقْلُ إلى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حتَّى أتَاهُ كِتَابٌ مِن صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ علَى خُرُوجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأنَّهُ نَبِيٌّ، فأذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ في دَسْكَرَةٍ له بحِمْصَ، ثُمَّ أمَرَ بأبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يا مَعْشَرَ الرُّومِ، هلْ لَكُمْ في الفلاحِ والرُّشْدِ، وأنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هذا النبيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إلى الأبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وأَيِسَ مِنَ الإيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وقَالَ: إنِّي قُلْتُ مَقالَتِي آنِفًا أخْتَبِرُ بهَا شِدَّتَكُمْ علَى دِينِكُمْ، فقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا له ورَضُوا عنْه، فَكانَ ذلكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧ • [صحيح]

✸ الرد على الشق الأول **أن هذه الأموال ليست من جهدكم** {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[سبأ ٣٦] هنا رد تفصيلي، مُكوّن من أربع آياتٍ للرد على هذه الشبهة:

❖ الآية الأولى ترد على الجزء الأول {نَحْنُ أَكْثَرُ أموالًا وأولادًا}[سبأ ٣٥]، أولًا أنتم أكثر أموالًا وأولادًا، يجب أن نقف ونؤكد قبل أن نرى ما سيُبنى عليه أن هذه الأموال من رزق الله، {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ}[محمد ٤]، {قل اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}[سبأ ٣٦]، قل لهم إن ربي أنا الذي أدين له وأخضع له وأعبده، ربي هو الذي أعطاكم وهو قادر على أن يأخذه منكم، {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[سبأ ٣٦] لا يعلمون هذه الحقيقة أن الرزق بيد الله، ولو يشاء لمنعه عنكم {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}[الملك ٣٠] {فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا}[الكهف ٤٠].

إذًا ما عندكم من قوةٍ وما عندكم من عتاد، هو من رزق الله ابتلاءً لكم، ليس بجهدكم، الله قادر على أن ينزعه منكم، ليس بجهدكم أي: هم بذلوا وتعبوا ولكن المقصد أن الله ﷻ يسّر لهم ذلك، كيف الله ﷻ يسّر لهم ذلك؟ قال الله ﷻ{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}[الليل ٨-١٠] يُيسَّر إلى جهنم، {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ}[النساء ١١٥] هو اختار هذا الطريق.

الآيات تؤكد هنا أن سُنن الله ﷻ تعمل متداخلة وليست منفردة ..

أيضًا هذه الآية مهمة للمشركين وللمسلمين، فسُنن المعاملة المادية في الأرزاق يستوي فيها الكافر والمسلم، بمعنى: أن مَنْ يبذل سيُعطى، ستعمل ستأخذ، مسلم أو كافر، الذي يضع البذرة الجيدة في التربة الجيدة ويسقيها بالماء؛ ستنبُت، أيًّا كان من وضع البذرة مسلمًا أو كافرًا ليس لها علاقة، هل هذا دائمًا؟ لا، ليس دائمًا، فهذه سنة عامة، وهناك سُنن مقيّدة لها.

-وهذه نقطة مهمة جدًا لكن طويلة فلا نستطيع الدخول فيها الآن- مسألة **سُنن الله ﷻ تعمل متداخلة وليست منفردة**، لماذا؟ سُنّة أن من يعمل في الدنيا، سيأخذ، والذي سيحرث في الدنيا {نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ}[الشورى ٢٠]، هنالك سنة مقيدة لها جاءت مرة واحدة في سورة الإسراء: {مَا نَشَاءُ لِمَنْ

نُرِيدُ} أي {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا} بشرط {مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}[الإسراء ١٨]؛ **القَدْرالذي يشاؤه الله، للشخص الذي يريده الله.**

أمثلة للمعنى: يكون هناك اثنان كافران يعملان نفس العمل، بنفس الجّد، ونفس مستوى الذكاء، هذا يأخذ وهذا لا يأخذ، وربما شخص مسلم والآخر كافر، الاثنان يجتهدان جهدًا مماثلًا، لديهم نفس مستوى الذكاء والعمل، والكافر يأخذ والمسلم لا يأخذ وربما العكس.

والقاعدة: **أن المسلم له سنن أخرى، له معاملات في الرزق** -ستأتي الآن- بالرغم أنها نفس سنة البسط والتقدير، {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ} {وَيَقْدِرُ}[سبأ ٣٦]، المؤمن له سنة أخرى في المعاملة وبنفس الألفاظ لكن بزيادات مختلفة.

إذًا الرد الأول على كلمة {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥] الآية تقول لهم: أن هذا الذي معكم من بَسْط الله لكم ولو يشاء الله لأخذه منكم.

المعني الثاني للآية: أن ما أنتم فيه سُنة يستوى فيها المؤمن والكافر، **وهذا تحفيز للمؤمن**، أي لا تعتقد لأنك مسلم جالس وهو كافر يعمل، المسلم الجالس يأخذ، والكافر العامل لن يأخذ، هذا غير صحيح، اعمل كي تأخذ {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ}[الأنفال ٦٠]، أي لابد أن تبذل، {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ}[النساء ١٠٤]، أي أنهم يعملون طول اليوم يبذلون، فأنت لابد أن تعمل لابد أن تبذل.

هذا هو الجزء الأول من الآية {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥].

- الجزء الثاني: **عن الدار الأخرة** {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٥]. بعدما فهمت الآية المشركين والمؤمنين أن هذه سنة يستوي فيها الكافر والمسلم، وكما ذكرنا أن هذه السنة مهمة؛ ليس معنى أنك مسلم سيأتيك الرزق بدون سبب، لا، لابد أن تعمل، وفهمّت المشركين أن الذي معك رزق من الله؛ فالله ﷻ قادر على أن يمنعه عنك في أي لحظة.

جاءت الآية الثانية ترد على {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٥]، {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ } رغم كثرتهم هي {بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى}[سبأ ٣٧]، ما علاقة الأموال بالقرب من الله؟

الوقفة الأولى معنا في هذه الآية: كأن الغرض الأساسي في هذه الحياة ومن كل ما تملك، هو أنك تُحَصل القرب من الله، الله ﷻ يقول لهم {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ}[سبأ ٣٧] **فالمؤمن هدفه، وغرضه القرب من الله؛ فيتخلى عن كل ماله لأجل التقرب إلى الله،** فربنا -سبحانه وتعالى- يقول للمشركين: كل أموالكم وكل أولادكم لا تقربكم عندنا زلفى، وهذه الغاية الأساسية من الوجود في هذه الحياة.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} أي الملائكة التي يعبدها المشركون، أو الجن الذين أسلموا {يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}[الإسراء ٥٧] يجتهدون ويتنافسون يا تُرى من أقرب عند الله؟ فالملائكة والجن المسلمون والأنبياء والصالحون يجتهدون أيهم أقرب عند الله ﷻ.

فالله ﷻ يخبر المشركين أن الأموال التي معكم كلها لا تقربكم عندنا، لن تنفعكم يوم القيامة، ليس هناك علاقة بين كثرة الأموال وكونك على الحق.

ومثلما قلنا هذه نقطة مهمة جداً في العقيدة للأسف انتشرت، التفكير المادي لبني إسرائيل انتشر بين بعض المسلمين، التقييم المادي أن فلانًا حدث له شيء وشيء سيء إذًا أكيد هو على خطأ، فهل كانت هزيمة المسلمين في أُحد وانتصار المشركين يدل على أن المشركين على الحق؟ هذا تفكير خاطئ.

وسمعت أحد الإعلاميين المشهورين يقول "أنتم تقولون أن إسرائيل كفار إسرائيل كفار، وإسرائيل متقدمة دنيويًا"، وما العلاقة؟ ما هي العلاقة بين التقدم الدنيوي وبين كونهم على باطل؟.

"تقولون أن الإعصار جاء بسبب الذنوب كُفوا عن هذا التفكير"، سبحان الله! هذا قول الله ﷻ: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}[الروم ٤١] فهذا التفكير المادي ينتشر أحيانًا بين المسلمين.

{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}[سبأ ٣٧]؛ أي فهل هذا يعني أن الأغنياء سيظلون طوال عمرهم سيئين؟ لا {مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}[سبأ ٣٧] هنا معنى وعمل صالحا -السياق ممكن يخصصها- أي أنفق ماله وعلّم ولده، من ينذر ولده للدين وينفق ماله لنصرة الدين هذا

الذي سينفعه، كما قال النبي ﷺ لأبي الدرداء (المكثرون هم الأقلون يوم القيامة)[٧] من يملك أموالًا كثيرة سيكون أقل الناس يوم القيامة، جميعهم؟ (إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا وأعطى عن يمينه وعن شماله ومن خلفه)، فعندما أشار النبي ﷺ لتعدد الجهات، قالوا أي تعدد وجوه الإنفاق؛ ينفق في كل أوجه الخير: طلب العلم، جهاد، إطعام فقراء،في كل أوجه الخير، (إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا)

فإذًا {إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[سبأ ٣٧]، جزاء الضعف بما عملوا قالوا: يضاعف لهم الحسنات، ولذلك الفقراء قالوا للنبي ﷺ: (ذهب أهل الدثور بالأجور)[٨]، قالوا يا رسول الله الأغنياء معهم أموال يفعلون بها أشياء كثيرة لا نستطيع أن نفعلها، فالنبي ﷺ حثهم على التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، فلما قام بها الأغنياء قال لهم النبي ﷺ {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}[الجمعه ٤]، في النهاية الغني يمكن أن يفعل طاعات الفقير لا يستطيع فعلها، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، لأجل ذلك لهم جزاء أكثر.

{فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[سبأ ٣٧] لم يكن يأمن ولم يكن يطمئن بالمال كان يطمئن بالله، {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ}[الحج ١١] من كان يطمئن بالمال لم يكن ينفقه، لأنه كلما يصرف المال تقل عنده الطمأنينة، المؤمن عكس ذلك كلما أنفق زادت عنده الطمأنينة، يطمئن أكثر أن الله سيعوضه -وستأتي لنا الآن-.

إذًا عندما تأتي شبهة، وأنت ترد عليها لابد أن تضع في اعتبارك أكثر من شيء:

أولًا: **تفاصيل الشبهة** .

ثانيًا: **المستمع للشبهة من المؤمنين**. فنجد أن السياق يخاطب المشركين، وكذلك يخاطب المؤمنين، بالرغم أن الشبهة من قالها هم المشركون، فهنا جاء في المنتصف {إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}[سبأ ٣٧]

---

[٧] [عن أبي هريرة:] المُكثرونَ هم الأقَلُّون يومَ القِيامةِ، إلّا مَن قال بالمالِ هكذا، وهكذا، وهكذا، قال يَحيى: وقليلٌ ما هم، قال حَسَنٌ: وأشارَ بينَ عينَيْه، وعن يَمينِه، وعن يَسارِه، ومِن خَلْفِه.
شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ٩٠٧٥ • صحيح • أخرجه ابن ماجه (٤١٣١)، وأحمد (٩٠٧٥) واللفظ له

[٨] [عن أبي ذر الغفاري:] أنَّ ناسًا مِن أصْحابِ النبيِّ ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ويَتَصَدَّقُونَ بفُضُولِ أمْوالِهِمْ، قالَ: أوَليسَ قدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أيَأْتي أحَدُنا شَهْوَتَهُ ويَكونُ له فيها أجْرٌ؟ قالَ: أرَأيْتُمْ لو وَضَعَها في حَرامٍ أكانَ عليه فِيها وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذا وَضَعَها في الحَلالِ كانَ له أجْرٌ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٠٠٦ • [صحيح]

هذا تحفيز للمؤمنين أن ينفقوا أموالهم في سبيل الله. والله يقول لهم: أنتم تقولون أنكم معكم أموال كثيرة وهذه الأموال ستجعلكم غير معذبين، كيف؟ وأنتم تنفقونها في الصّد عن سبيل الله. هذه هي {وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ}[سبأ ٣٨]، أي كيف تدّعون أن أموالكم وأولادكم تقربكم عند الله وأنتم تنفقونها في الصد عن سبيل الله. عكس {مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا}[سبأ ٣٧]

إذًا الآية الأولى {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ}[سبأ ٣٦] رد على كلمة {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥] .الآية الثانية {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ}[سبأ ٣٧] رد على{وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٥].

✸ الآية الثالثة: **مقياس نفع المال.**

بمعنى، أنك خرجت بعد الآيتين، بماذا؟ المال خير أم شر؟ فختام الآية الثانية والثالثة يقول أن المفتاح الذي تقيّم به هل المال خير أو شر، وخوض الكثيرين هل الغني أفضل أم الفقير؟

أنت تملك مفتاحًا في كيفية استعمال المال؛ المؤمنون استعملوه في طاعة الله فلهم {جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[سبأ ٣٧]، والكفار يسعون بهذا المال {فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}[سبأ ٣٨].

هناك مفتاح تقيم به المال هل هو خير أم شر، **فالمال في حد ذاته ممكن أن يتحول إلى خير أو شر، على حسب الاستعمال**؛ كما أن النبي ﷺ أعطاك مفتاح تحل به أزمة {رَبِّي أَكْرَمَنِ / رَبِّي أَهَانَنِ}[الفجر ١٥-١٦]، كيف؟ النبي ﷺ يقول: (عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته **سراء**..)، استعمل مفتاح **الشكر**، (كان خيرًا له) – (وإن أصابته **ضراء**..) استعمل مفتاح **الصبر** (كان خيرًا له)[٩]. إذًا السراء أم الضراء؟ خير أم شر؟، هذا على حسب التعامل؛ مثلًا إنسان جاءته نعمة يا ترى هذا الأمر خير أو شر؟، حسب المعاملة، ماذا ستفعل بهذه النعمة، ستشكر؟ إذاً هذا خير، ستكفر؟ إذًا ستصبح مصيبة عليك.

[٩] [عن صهيب بن سنان الرومي:] عجبًا لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمرَه كلَّهُ له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إن أصابتْهُ سرّاءُ شكر وكان خيرًا لهُ، وإن أصابتْهُ ضرّاءُ صبرَ فكان خيرًا له
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٣٩٨٠ • صحيح

لذلك أحد معاني قول الله ﷻ: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}[الأعراف ١٤١]، هذه النجاة بلاء، اختبار، وأحد معاني البلاء هنا أنه هو معنى على حقيقته أي ابتلاء، النجاة كانت بلاءً، فأساؤوا هذه النعمة {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا}[الأعراف ١٣٨]، أي سقطوا في البلاء.

{عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ}[الأعراف ١٢٩] **هذه نعمة، لكن القضية** في قوله تعالى {فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}[الأعراف ١٢٩].

فختام الآية الثانية والآية الثالثة في سياق الرد على الشبهة تعطيك مفتاح تقيِّم به هل المال والولد خير أم شر، فيم تستعمله.

تدبر تفصيلي للآيه الثالثة للرد علي الشبهة: {وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ}[سبأ ٣٨]

الآية الثالثة: {وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ}[سبأ ٣٨]، {يَسۡعَوۡنَ} وهي في صيغة المضارع، أي لا يتوقفون، هذه بنفس معنى كلمة مكر الليل والنهار، إذاً والذين يسعون، صيغة المضارع تدل على أنهم لا يتوقفون عن الصد عن سبيل الله، بمعنى أنه كلما تأتيه أموال ينفقها في الصد عن سبيل الله، كلما جاءه منصب يستعمله في الصد عن سبيل الله.

{وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا}[سبأ ٣٨]، تحدثنا عنها في أول السورة -التغلغل-، يريد أن يحارب آية آية، لا يريد أن يحارب القرآن جملة واحدة، بل يريد أن يحارب القرآن آية آية، يريد أن يصد عن أحكام الدين حكمًا حكمًا من أول التوحيد والعقيدة مرورًا بالصلاة والكلام عن الحجاب، حتى الختان، حتى السُنن، يريد أن يحارب كل شيء.

{وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ}[سبأ ٣٨]، يظنون أنهم يعجزون الله، أو في قراءة {مُعَجِّزِينَ} يريدون أن يُظهروا عجز هذا الدِّين، وفي معنى مُعاجزين قيل مثبِّطين، يريدون أن يثبطوا المؤمنين.

{أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ}[سبأ ٣٨]. مُحضَر يعني سيُمسك، هو كان يريد أن يعجز الله مثل الجن لما قالت {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا}[الجن ١٢] فكلمة معاجزين كأنه يظن

أنه سيفلت من الله {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا}[العنكبوت ٤]، هو يعتقد أنه سيُفلت هربًا من الله، فكلمة معاجزين جاء معها كلمة "مُحضرين"، أي سيُمسَك به ويُحضَر{أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}[سبأ ٣٨].

ما دلالة تكرار أن الرزق بيد الله يعطيه من يشاء ؟

والآية الأخيرة: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[سبأ ٣٩] ألم تأت هذه الآية من قليل {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[سبأ ٣٦]، لماذا تكررت؟ هذه في سياق الرد على شبهة {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ ٣٥].

لماذا تكررت هذه الآية؟ للعلماء أكثر من توجيه في مسألة لماذا تكررت هذه الآية:

*كثير من العلماء قال معنى لطيفًا جداً -وأظن أول من ذكره ابن عطية والزمخشري- قال: الآية الأولى {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}[سبأ ٣٦] هذه كانت للمشركين، ردًا على المشرك أنه يقول نحن أكثر أموالاً وأولاداً، أي ما عندكم من مال هو بسط من الله عز وجل لمن يشاء. أما الآية الثانية فهي خطاب خاص للمؤمنين، **تصبيرًا لهم**؛ لذلك يوجد زيادتان في الآية الثانية عن الأولى، هناك لفظتين زائدتان وهما: {من عباده}، واللفظة الثانية {له} -يقال هذه تُربك في الحفظ-.

في اللفظة الأولى زيادة {من عباده} جاءت مع البسط {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}[سبأ ٣٩] قالوا عباده الإضافة إضافة تشريف، وغالبًا في الاستعمال القرآني تأتي للمؤمنين، فكأن هنا أثناء الرد على الشبهة حدث التفات لتثبيت المؤمنين، إذا كان المترف يخاف على المستضعفين الذين كان هو من يستضعفهم، فالداعية لابد أن يخشى على المؤمنين ولابد أن ينصحهم وعندما تأتي شبهة يبصّرهم ويفهمهم، فكأن حدث التفات.

الذي قال أن هذا الخطاب للمسلمين قال كأنه حدث التفات، هو رد عليهم وقال لهم {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمونَ}[سبأ ٣٦] {وَمَا أَمْوَالُكُمْ}[سبأ ٣٧] كاف الخطاب {وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا

وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ}[سبأ ٣٧-٣٨]، الذين هم أنتم {فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}[سبأ ٣٨] ثم حدث الالتفات للمؤمنين تقول لهم انظروا {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ}[سبأ ٣٩] أنتم لكم معاملة خاصة، **بسط الرزق للكافر عذاب واستدراج أما بسط الرزق للمؤمن التقيّ خير**، {مِنْ عِبَادِهِۦ}[سبأ ٣٩] هذا من الله لك.

{وَيَقْدِرُ لَهُ}[سبأ ٣٩]، البسط معروف لذلك قال من عباده، خير للمؤمن التقيّ لأنه سيستغله في الطاعة، والتضييق؟، قال تعالى: {وَيَقْدِرُ لَهُ} لم يقل ويقدر عليه، أما في قوله تعالى: {فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ}[الفجر ١٥-١٦] في هذه الآية {فقدر عليه رزقه}، "عليه" هذه بلاء نازل عليه من فوق.

هنا يقدر {له}، أي يضيق من أجله، **أي أن تضييق الرزق كان لأجله**، كي لا يُفتَن، كي يُرفع في الدرجات، لأن التضييق كان الخير له.

فكان الأفضل أن يموت ابنهم -في سورة الكهف- لأنه لو كان بقي على قيد الحياة كان سيرهقهما من أمرهما عسرًا[١٠].

كان الأفضل أن يحدث خرق في السفينة لهم[١١]، إذاً {يقدر له}، تضييق الرزق كان الأفضل للمؤمن، فأنت تلتفت للمؤمن تقول له، صحيح **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، لكن هذه المعاملة معكم مختلفة. فالبسط معه بركة، والتقدير والتضييق معه خير ورحمة**، {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ}[سبأ ٣٩] أي من أجله.

كما ذكرنا المرة الماضية الحديث الرائع (ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ولئن سألني لأعطينَّه ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله، ترددي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولكن لا بد له منه)[١٢]. فكلمة يقدر له، أي يضيق عليه الرزق من أجله فهو خير له، أي للمؤمن.

---

[١٠] {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا}[الكهف ٨٠]

[١١] {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}[الكهف ٧٩]

[١٢] [عن أبي هريرة:] يقولُ اللهُ تعالى: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربةِ، وما تقرب إليّ عبدي بمثلِ أداءِ ما افترضته عليه، ولا يزالُ عبدي يتقربُ إليّ بالنوافلِ حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به وبصرَه الذي يُبصِرُ به ويدَه التي يَبطشُ بها ورجلَه التي يمشي بها، فبي

لكن يقدر التي هي للكافر عقوبة عليه {وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ}[الفجر ١٦] {كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ}[الفجر ١٧].

يقول الله عز وجل: {قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥ}[سبأ ٣٩]، قلنا أن العلماء قالوا في تكرار هذه الآية في هذا السياق، لهم رأيين –وطبعًا يفتح الله ﷻ على من يشاء ممن سيتدبر–. بعضهم قال إن السياق الأول كان للكفار {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}، فليس هناك كلمة {من عباده}، ولا كلمة {له}، ردًا على الكفار أن ما معكم من مال فهذا بتقدير الله لكم، وهذا ابتلاء؛ بالنسبة للمؤمن هو أيضًا من تقدير الله **لكن يصحبه المعاملة**، يصحبه معاملة من الله، في البسط هو يكرم عباده، وفي التضييق هو يرحم عباده بهذا التضييق، لأجلهم {إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ}[سبأ ٣٩].

وقلنا هنا كأنه حدث التفات، وهذا أمر موجه للداعية أن بعد ما قلت للكفار قل للمؤمنين، وبعد ما رددت على الكفار اشرح للمؤمنين وثبتهم وفهمهم وبصرهم وأنر لهم طريقهم، فبعد ما رددت على الكفار تقول للمؤمنين {إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ}[سبأ ٣٩].

ثم {وَمَا أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ}[سبأ ٣٩] تعامل المؤمن مع المال غير تعامل الكافر، غرض الكافر أن يصل إلى مرحلة {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً}[الكهف ٣٤] المكاثرة {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}[التكاثر ١]. وهنا قالوا {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥]، أما غرض المؤمن من المال أن ينفق في سبيل الله ويحتسب حتى اللقمة يضعها في فيِّ زوجته يحتسبها أنها صدقة[١٣]، وكلما ينفق على أهله هو له صدقة يحتسبها.

فالمؤمن يخبره الله أن المال (البسط) الذي لديك ليس لتقول لهم {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً}[الكهف ٣٤] بل كي تنصر به دين الله في وقت الاستضعاف الذي نحن فيه في سورة سبأ.

يسمعُ وبي يُبصرُ وبي يَبطشُ وبي يمشي، ولئن سألني لأُعطينه ولئن استعاذني لأُعيذنه، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعلُه ترددي في قبضِ نفسِ عبدي المؤمنِ يكرهُ الموتَ وأكرهُ مساءتَه ولابدَّ له منه

ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٣١٦/٢٥ • صحيح

[١٣] [عن سعد بن أبي وقاص:] جاءَ النبيُّ ﷺ يَعُودُنِي وأنا بمَكَّةَ، وهو يَكْرَهُ أنْ يَمُوتَ بالأرْضِ الَّتي هاجَرَ مِنْها، قالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْراءَ، قُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أُوصِي بمالِي كُلِّهِ؟ قالَ: لا، قُلْتُ: فالشَّطْرُ، قالَ: لا، قُلْتُ: الثُّلُثُ، قالَ: فالثُّلُثُ، والثُّلُثُ كَثِيرٌ، إنَّكَ أنْ تَدَعَ ورَثَتَكَ أغْنِياءَ خَيْرٌ مِن أنْ تَدَعَهُمْ عالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ في أيْدِيهِمْ، وإنَّكَ مَهْما أنْفَقْتَ مِن نَفَقَةٍ، فإنَّها صَدَقَةٌ، حتَّى اللُّقْمَةُ الَّتي تَرْفَعُها إلى في امْرَأتِكَ، وعَسَى اللَّهُ أنْ يَرْفَعَكَ، فَيَنْتَفِعَ بكَ ناسٌ ويُضَرَّ بكَ آخَرُونَ، ولَمْ يَكُنْ له يَومَئِذٍ إلَّا ابْنَةٌ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٧٤٢ • [صحيح]

والدين محتاج في هذه اللحظة أي شيء {وَمَا أَنفَقتُم} ماذا؟ {مِّن شيء}[سبأ ٣٩] أي شيء، درهم، أي شيء تنفقه في سبيل الله.

{وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ}[التوبة ٧٩] كان هناك أناس لا يجدون إلا جهدهم، لا يجد أقل شيء ينفقه في غزوة تبوك، لدرجة قيل إنه من معاني {لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ}[التوبة ٧٩] أي ليس لديه مال لكن لديه جهد وصحة، ليس لديه غير الجهد، يذهب بهذا الجهد يحتطب، يبيع فيأتي بالأموال؛ ينفقها في سبيل الله، أي أنه أصلًا ليس لديه غير جهد يبذله -أحد المعاني التي قيلت-، فتخيل وصلوا لهذه المرحلة وكانوا يسخرون منهم، فلم يسلم حتى هؤلاء من أذى المنافقين {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ}[التوبة ٧٩].

فهنا {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ}[سبأ ٣٩] أي الله ﷻ الذي يملك السماوات والأرض {يُخْلِفُهُ} فيها طمأنة للمؤمن؛ المؤمن بشر تطمئنه، تفهمه، تشرح له هو يحتاج لطمأنته. بني آدم يحتاجون لذلك، فالقرآن ينزل ليثبت المؤمنين {كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}[الفرقان ٣٢].

فأنت تقول له أن هذا الذي ستنفقه سيخلفه الله عليك. كثير من المفسرين قال: "**لا يُشترط أن يكون الخُلف الذي سيخلفه الله عليك أن يكون من نفس جنس المال**"، أي ليس معنى أنك أنفقت عشرين جنيها فلابد أنها ستعود لك ثلاثين جنيهًا؛ لا، سترجع لك بركة، صحة، صرف بلاء، أو رِفعة في الدرجات، المهم أن تكون موقنًا أنه سيخلفه، هذه قاعدة يقينية عند من يتعامل مع القرآن على أنه حقائق-.

ظاهر الأمر أن من معه ألف جنيه، أخرج مائة صدقة فأصبحوا تسعمائة، ومن معه ألف جنيه وتعامل بالربا أصبحوا ألف ومائة، ظاهر الأمور أن من تعامل بالربا أكثر ممن تعامل بالصدقة لكن حقيقة الأمر هي العكس {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}[البقرة ٢٧٦] يربي أي ينمي؛ إذًا الحقيقة عكس الظاهر المتبادر. ولذلك قال ربنا: {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[الروم ٦-٧] هل هم يعلمون أم لا يعلمون؟ هو لا يعلم الحقائق ولكن يعلم الظواهر {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ} هو ليس لديه اهتمام بالغيب {هُمْ غَافِلُونَ}[الروم ٧].

فهنا {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} ماذا سيعطيك؟ هذه لله، {وَهُوَ خَيْرُ} ماذا؟ {الرَّازِقِينَ}[سبأ ٣٩] أنت واثق أنه سيعطيك.

بمعنى ولله المثل الأعلى لو كان ابنك مطمئنًا لك تقول له: لو فعلت كذا سأحضر لك بمفاجأة عظيمة، بالطبع الطفل بمجرد أن يسمع منك هذا سيعرف أنك لن تأتي له بشيء،وأنك تخدعه، وهذا طبعًا خطأ في تربية الأطفال. كتب أحدهم: "أكبر كذبة سمعتها وأنا صغير: ((قل يا حبيبي الصدق وأنا لن أضربك)) يقول: وجسدي شاهد على هذا!" المهم تخيل لو أن الابن واثق في أبيه، وأبوه يقول له: افعل كذا وأنا سآتي لك بشيء تحبه، والابن عنده ثقة –ولله المثل الأعلى– ربنا يقول لك أنفق وهو يخلفه {وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} اطمئن {خَيْرُ الرَّازِقِينَ} يرزقك إن أنت أنفقت في سبيل الله ولا سيما في وقت الاستضعاف –كما في سورة سبأ–، ولا سيما في وقت الاحتياج {لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ}[الحديد ١٠] **أثناء الاحتياج**.

"ليتني أكون فيها جذعًا حينما يخرجك قومك"[١٤] فاختيار البذل أثناء وقت الاستضعاف هذا أعلى درجات الدين.

حسنًا هذه هي الوجهة الأولى لـ {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ}[سبأ ٣٩].

نذكر الوجهة الثانية وننهي.

---

[١٤] [عن عائشة أم المؤمنين:] أوَّلُ ما بُدِئَ برسولِ اللهِ ﷺ من الوحيِ الرُّؤيا الصّادقةُ يراها في النَّومِ فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مِثْلَ فلَقِ الصُّبحِ ثمَّ حُبِّب له الخلاءُ فكان يأتي حِراءً فيتحنَّثُ فيه - وهو التعبُّدُ اللَّيالِيَ ذواتِ العِدَّةِ - ويتزوَّدُ لذلك ثمَّ يرجِعُ إلى خديجةَ فتُزوِّدُه لمثلِها حتّى فَجِئَه الحقُّ وهو في غارِ حراءٍ فجاءه الملَكُ فيه فقال: اقرأْ قال رسولُ اللهِ ﷺ: فقُلْتُ: ما أنا بقارئٍ قال: فأخَذني فغطَّني حتّى بلَغ مِنّي الجَهْدَ ثمَّ أرسَلني فقال لي: اقرأْ فقُلْتُ: ما أنا بقارئٍ فأخَذني فغطَّني الثّانيةَ حتّى بلَغ مِنّي الجَهدَ ثمَّ أرسَلني فقال: اقرأْ فقُلْتُ: ما أنا بقارئٍ فأخَذني فغطَّني الثّالثةَ حتّى بلَغ مِنّي الجَهْدَ ثمَّ أرسَلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١] - حتّى بلَغ - {ما لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥] - قال: فرجَع بها ترجُفُ بوادرُه حتّى دخَل على خديجةَ فقال: زمِّلوني زمِّلوني فزمَّلوه حتّى ذهَب عنه الرَّوعُ ثمَّ قال: يا خديجةُ ما لي؟ وأخبَرها الخبرَ وقال: قد خشيتُه علَيَّ فقالت: كلّا أبشِرْ فواللهِ لا يُخزيك اللهُ أبدًا إنَّك لَتَصِلُ الرَّحِمَ وتصدُقُ الحديثَ وتحمِلُ الكَلَّ وتَقري الضَّيفَ وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ ثمَّ انطلَقَت به خديجةُ حتّى أتَتْ به ورقةَ بنَ نوفلٍ وكان أخا أبيها وكان امرأً تنصَّر في الجاهليَّةِ وكان يكتُبُ الكتابَ العربيَّ فيكتُبُ بالعربيَّةِ مِن الإنجيلِ ما شاء أنْ يكتُبَ وكان شيخًا كبيرًا قد عمِيَ فقالت له خديجةُ: أيْ عَمِّ، اسمَعْ مِن ابنِ أخيك فقال ورقةُ: ابنَ أخي، ما ترى؟ فأخبَره رسولُ اللهِ ﷺ ما رأى فقال ورقةُ: هذا النّاموسُ الَّذي أُنزِل على موسى يا ليتَني أكونُ فيها جذَعًا أكونُ حيًّا حينَ يُخرِجُك قومُك فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أمُخرِجيَّ هم؟ ! قال: نَعم لم يأتِ أحدٌ قطُّ بما جِئْتَ به إلّا عُودِي وأوذي وإنْ يُدرِكْني يومُك أنصُرْك نصرًا مؤزَّرًا ثمَّ لم ينشَبْ ورقةُ أنْ تُوفِّي وفتَر الوحيُ فترةً حتّى حزِن رسولُ اللهِ ﷺ [فيما بلَغَنا] حزنًا غدا منه مِرارًا لكي يتردّى مِن رؤوسِ شواهقِ الجبالِ فكلَّما أوفى بذِروةِ جبلٍ كي يُلقيَ نفسَه منها تبدّى له جبريلُ فقال له: يا محمَّدُ إنَّك رسولُ اللهِ حقًّا فيسكُنُ لذلك جأشُه وتقَرُّ نفسُه فيرجِعُ فإذا طال عليه فترةُ الوحيِ غدا لمثلِ ذلك فإذا أوفى بذِروةِ الجبلِ تبدّى له جبريلُ فيقولُ له مثلَ ذلك

ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٣٣ • أخرجه في صحيحه

*الوجهة الثانية –قالها الإمام البيضاوي؛ يقول: الآية الأولى هي لعموم البشر لاختلاف البشر بعضهم عن بعض، أي أن معنى الآية الأولى {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ}[سبأ ٣٦] لأشخاص {وَيَقْدِرُ} الرزق على أشخاص آخرين، أي أن معنى الآية الأولى أن الأشخاص مختلفين فأحدهم غني وآخر فقير، إنما معنى الآية الثانية أن نفس الشخص من الممكن أن يغنيه الله وبعد لحظة يفقره. فكلمة {له} عائدة على كلمة {مِنْ عِبَادِهِۦ}. فمعنى الآية الثانية {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ}[سبأ ٣٧] أي ويضيق عليه، أي أن الله قادر بعد أن بسط الرزق لفلان أن يضيق عليه؛ فلا تغتروا أيها المشركون بما معكم من مال فالذي بسط الرزق لكم قادر على أن يضيق عليكم وهكذا تتبدل الأحوال دائمًا، هذا معنى الآية عند الإمام البيضاوي.

اتضحت؟ ثانيةً، صلوا على النبي ﷺ :

معنى الآية على القول الثاني أن سبب التكرار قالوا: إن الآية الأولى الغرض منها اختلاف الأشخاص في الغنى والفقر والغرض النهائي من الآية الأولى أن المجتمع فيه أغنياء وفقراء وهذه سنة الله.

الغرض من الآية الثانية أن **الشخص الواحد يمر بظروف متنوعة** فقد يمر بفترة فيكون غنيا ثم قد يفتقر، الله يقدر عليه مصيبة يبتليه فيكون فقيرًا، ثم أحيانًا يقدر له –نفس الشخص– فيصبح غنيًا!

فمعنى الآية {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ}[سبأ ٣٩] يختار ربنا واحدًا من العباد يعطي له رزقًا {وَيَقْدِرُ لَهُۥ} أي لهذا الشخص أيضًا يضيق عليه، فكلمة {وَيَقْدِرُ لَهُۥ} سيصبح معناها أنه وبعد فترة من الزمن يضيق على نفس الشخص.

{وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ}[سبأ ٣٩] **فأدركوا وأنفقوا وأنتم لديكم أموال قبل أن يأتي وقت الفقر**، (بادروا بالأعمال فتنًا)[١٥]. فيصبح معنى الآية بالنسبة للمشركين –على قول الإمام البيضاوي–: "لا تغتروا بما معكم من مال فالأيام دول وقد تفتقروا". ومعنى الآية بالنسبة للمؤمنين أن الشخص الواحد معه مال وأحيانًا يصبح فقيرًا؛ فأنفق في سبيل الله قبل الفقر، اتضحت؟ {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ}[سبأ ٣٩].

[١٥] [عن أبي هريرة:] بادِرُوا بالأعْمالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كافِرًا، أوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١١٨ • [صحيح]

ثم {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا}[سبأ ٤٠] رجوع للدار الآخرة مرة أخرى، توسطت هذه الآيات التي عالجت الأمور المادية بين شوطين من الدار الآخرة، **هكذا تُعالَج الماديات في جو الآخرة**. قبلها آيات عن الدار الآخرة وبعدها آيات عن الدار الآخرة وفي الوسط هنا علاج لهذا المرض المادي المتغلغل الذي توارثه بعض المسلمين من بني إسرائيل فتُعالَج الماديات (الأمراض المادية) لدى الإنسان، وهي لا تُعالج إلا في جو معين من الدار الآخرة.

إذا ملخص المجلس أن الله أمر نبيه بالدعوه و جاءت أربع آيات تبدأ ب"قل" فبعد المواجهه بدأوا هم بالهجوم وألقوا شبهه تافهه تربط بين أن من معه المال يكون علي الحق فالله ﷻ نهي هذه الشبهه و ضبط معيار الأمر عند المسلمين، فأخبر المشركين أن المال من عند الله يعطيه من يشاء و أخبر المؤمنين أن في العطاء ابتلاء وأن المقياس ليس مادي فالرزق له أبعاد كثيره أخري، ثم انتهي من هذا الأمر ونقل المشهد مرة أخرى إلي الدار الآخرة.

نسأل الله ﷻ أن يسلمنا من فتن الدنيا، وأن يرزقنا حسن الخاتمة.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك وأقم الصلاة.